الحاقدون

أيْ بُنَيَّ، لا تضيّع وقتك في محاولة إقناع الحاسد والحاقد والمغرض والمرتزق بأنك شخص جيد، لأن هؤلاء لن يروا إلا أخطاءك وعيوبك مهما صَغُرَت، فيضخمونها ويعملون من الحبة قبة ومن الفضيلة خطيئة، وسيكيدون لك ويمكرون بك ويحاولون جاهدين الإيقاع بك في حبائل الأخطاء، وسيكذبون ويفترون عليك ويسعون لتشويه صورتك بين الناس بكل ما أوتوا من قوة وخبث.

وأفضل ردٍّ على هؤلاء هو العمل بصمت وجهد وجد للارتقاء أكثر وأكثر، وتحقيق الذات ورضى النفس ورضى الله، والمضي إلى الأمام باستمرار دون الالتفات إليهم، مع الحذر من مصاحبتهم ومجالستهم وإفشاء الأسرار لهم، ولتكن كالجِمال التي تأكل الأشواك، فإن اعترضت طريقها عسفت عليها ومضت دون اكتراث.

يا بني، الصغار ليسوا صغار السن والأجساد، ولا محدودي الذكاء ولا معدومي المال ولا قليلي المعرفة والقدرات، وإنما هم صغار النفوس، الذين خانتهم الهمم فحسدوا أصحابها، وتبرأت منهم الذمم فباعوها بثمن بخس، وأغراهم المال فأصبحوا عبيداً له ولأصحابه، وضاعت منهم الحكمة فأصبحوا حمقى، وغادرهم الإنصاف فاستشرى الخبث في دمائهم، لا خلاق لهم ولا ضمير ولا صدق ولا أمانة، وكم يا بني سترى في حياتك رجلاً تتوسم في ملامحه الخير، أو شيخاً كبيراً تظن أنه قد حاز الحكمة، أو غنياً تحسب أنه قد رضي واقتنع، أو زعيم قوم أتى به نسبه، وحين تعايشهم وتخبرهم تكتشف بأنهم أذلاء حقراء صغار، فلا تغرنّك مظاهر الرجال حتى تدرك مخابرهم.

يا وسام، يقول الشاعر قديماً:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجساد

فعليك بأصحاب النفوس الكبار، الكرماء الشرفاء النبلاء الأنقياء، الذين إن عثرت أقالوك، وإن ضعفت عضدوك، وإن افتقرت أغنوك، وإن خفت أمَّنوك، وإن غبت افتقدوك، الذين يحفظون العهد ويؤدون الأمانة ويحافظون على الود.

ولا تظن أنهم قلة، بل هم الكثرة الغالبة، لكنهم يا بني لا يحبون الأضواء ولا يجيدون الدعاية لأنفسهم ولا لأعمالهم، ولا يتسلقون الجدران للأطماع، ولا يلعقون الأحذية للنوال، مقتنعون بما حباهم الله، صابرون على تدبيره، يتعففون ولا يتأففون، منشغلون بأنفسهم وأعمالهم وأخطائهم عن الناس، لا يطمحون إلا إلى الستر والعافية والرزق الحلال، قربهم متعة، وصحبتهم سلام، ومعرفتهم شرف، فيهم الأغنياء والفقراء، وفيهم البسطاء والأمراء، وكل ما عليك فعله هو أن تفتح عينيك لكي تراهم.

obeikandl.com